

المدافن النوميديّة بموقع سيلا The Numidian burials at SILA

مراد زرارقة*

جامعة 8 ماي 1945 - الجزائر

Zerarka16@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2021/10/03 تاريخ القبول: 2021/10/10

ملخص:

نُسبت المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية إلى فترة فجر التاريخ المبهمة من حيث الوجه الثقافي والتاريخ، رغم الانتشار الواسع والعدد المعتبر لمقابرها داخل الرقعة الجغرافية للأسر النوميديّة وغيرها من المجتمعات القديمة القاطنة شمال الأطلس الصحراوي خلال الفترات التاريخية. وسوف نبرز في هذا المقال إحدى أهم المدافن الموجودة في إقليم العاصمة النوميديّة قرطن، والتي بقيت تحتفظ بتسميتها القديمة "سيلا". مازال يحتفظ هذا الموقع ببقايا بلدة نوميديّة ومدافن واسعة الأرجاء منتشرة على مختلف الربوات والمرتعات لمنطقة البرمة، من نوع التلال الجنائزية والبازينات والسرايب. أثبتت التنقيبات عليها بوجود مرفقات جنائزية من فخاريات وعملة وحلي برونزية وبحرية وغيرها، لا يتعدى أقدم تأريخ لها القرن الرابع قبل الميلاد.

كلمات مفتاحية: سيلا، مدافن، بازيना، سرايب، ميغاليثية.

Abstract:

Megalithic and para-megalithic funerary monuments have been attributed to the protohistoric period despite its ambiguity in terms of cultural aspects and dating, in spite of their wide distribution and the large number of their necropolises in the geographical area of the Numidian dynasties and other ancient societies living in the northern Saharan Atlas during historical periods. In this article, we will highlight one of the most important necropolises in the south of the Numidian capital Cirta, which has retained its old name "Sila". This site still preserves the vestiges of a Numidian city and a group of vast burials scattered on the various hills of the region of Borma, of type tumulus, bazinas and vaults under rocks. Excavations have proven the existence of funerary accessories such as pottery and coins. Their earliest dating does not go beyond the 4th century BC.

Keywords: Sila, burials, bazina, vaults, megalithic

مقدمة:

لعبت البنية الطبوغرافية والتكوينات الجيولوجية دورا محوريا في استقطاب وانتشار المجتمعات الميغاليثية في محيط العاصمة النوميديّة قرطن، لما توفّره هذه البنية من تنوّع التضاريس التي يغلب عليها الطابع الجبلي وديد المرتفعات المحصّنة طبيعيا، وقرّ سطح أرضها مواد بناء تطلع بشكل سهل لتستعمل محليا وفي عين المكان بدل جلبها من أماكن بعيدة. فهذه الخصائص هي التي أمّلت على المجتمعات صاحبة المدافن الميغاليثية وشبه الميغاليثية الاستقرار بمحيط مدينة قرطن الذي يتوزّع فيه أكثر من أي منطقة أخرى، عدد لا يستهان به من المقابر ذات الانتشار الواسع والتركيز المرتفع لعدد مدافنها على غرار مقابر تيّيس، بكيرة، جبل الوحش، جبل مزبلا، تيجسيس، ثنبراست، لوساليت، ذراع بوتومي، بووشن، سيقوس، سيلا، جبل تيساليا، رأس العين بومرزوق، جبل القريون، جبل لمراح وجبل سي الطاهر. وسوف نركّز في هذا المقال على مقبرة سيلا من حيث الموقع والبنية التكوينية وتقنيات قلع وتشذيب صخورها لغرض البناء، والتذكير بالأبحاث المقامة وإبراز أهم مميزات أنماط مدافنها، أين ينفرد نوع واحد منها عن باقي المقابر المذكورة أعلاه، كما نبرز الأهمية التاريخية للمرفقات الجنائزية المعثور عليها خلال التنقيبات الأثرية داخل المدافن بأنواعها من تلال جنائزية وبازينات وسرايب، التي كانت ومازالت عند البعض تنسب إلى فترة فجر التاريخ المبهمة من حيث الوجه الثقافي والتحديد الزمني.

1. الموقع الجغرافي و أصل التسمية:

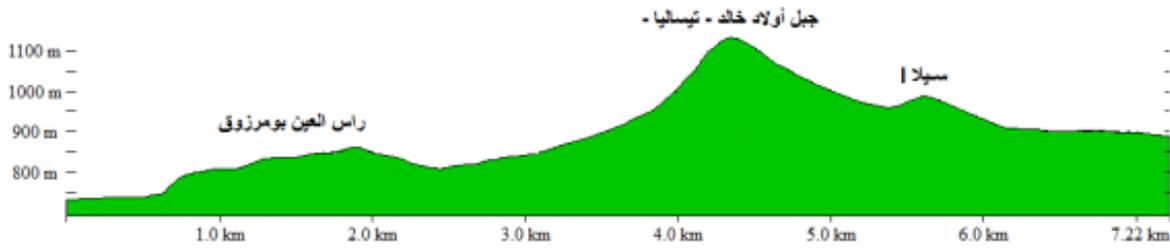
تبعد سيلا على مسار الطائر بمسافة 30 كلم جنوب مدينة قسنطينة، وهي تابعة حاليا لولاية أم البواقي، تقع هذه المقبرة الميغاليثية وشبه الميغاليثية مابين مقبرتي سيقوس ورأس العين بومرزوق، فوق عدد من الربوات الممتدة ما بين جبل الفرطاس وجبل تساليا. يحتوي هذا الأخير بدوره على عدد من المدافن الجلمودية على منحدراته الشمالية المطلّة على مقبرة رأس العين بومرزوق والمنحدرات الجنوبية المطلّة على سيلا. تمتاز هذه المنطقة بوعورة التضاريس ووفرة المياه، ونجد مخلفات أثرية تدل على تعاقب مختلف الحضارات عليها. تسميتها قديمة ولها معنيين، إحداهما اقترحه فال Vel ويرى فيه بأنه ذو أصول فينيقية بمعنى مخبأ¹. ففي أرض الميدان نجد تطابق هذا المعنى مع حصانة المكان المنحصر بين جبل الفرطاس من الشرق، القريون من الجنوب وجبال تيساليا من الغرب والمضايق العديدة المنتشرة في الشمال، كما نجد في هذه المنطقة مغارة كبيرة وبلدة نوميديّة محاطة بأسوار دفاعية محكمة. والمعنى الثاني الذي نقترحه مستمد من اللغة الأمازيغية المحلية في عبارة تاسيلا أو أسيلت التي تعني القدرة، التي عزّبت تسميتها حسب اعتقادنا فيما بعد، وعمّمت على كل المنطقة المعروفة بها حاليا بإسم البرمة أي القدرة أيضا. (الصورة 1، المقطع الطبوغرافي 1، والخريطة 1) احتفظت قرية سيلا حاليا بنفس التسمية التي عرفت بها أيضا خلال الحقبة الرومانية وهذا ما تثبته عديد النقيشات اللاتينية المعثور عليها بالموقع مثل: *Respublica silensium*² أو *Opiscopis silensis*

¹ Vel A.1906, Excursion archéologique sur le territoire de la commune mixte d'Ain-M'lila. RSAC, T.40 p.180.

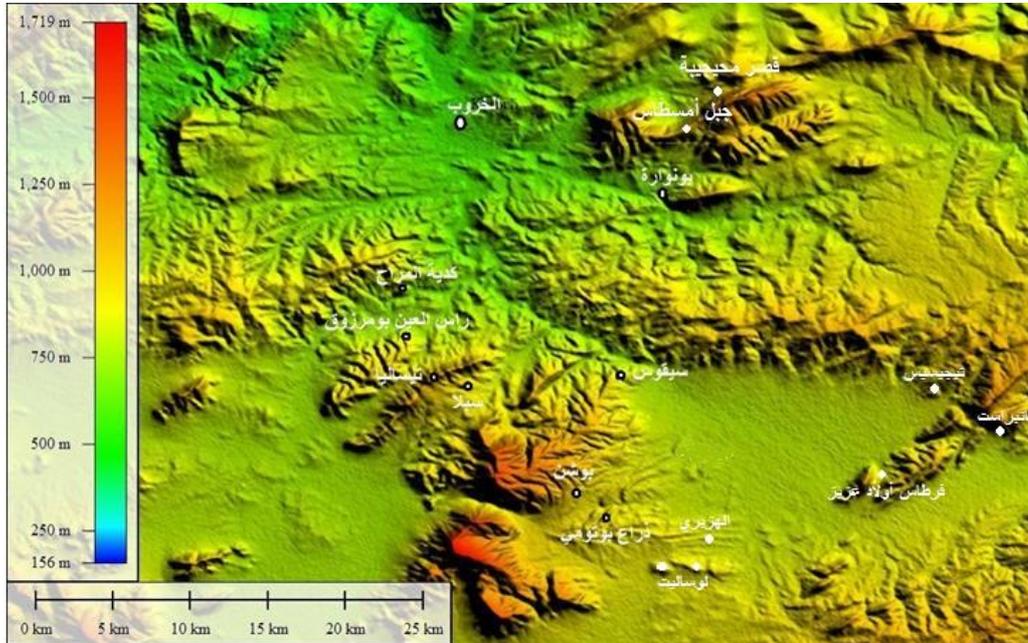
² Gsell S. ILAlg-02-02,06866.



الصورة 1: انتشار المعالم الجنائزية بمنطقة سيلا وجبل تيساليا. عن Google earth.



المقطع الطبوغرافي 1: يعبر سيلا ، تيساليا وراس العين بومرزوق (انجاز الباحث).



الخريطة 1: سيلا ضمن مقابر جنوب قرطن (انجاز الباحث باستعمال برنامج Global mapper)

أُجريت على مقبرة سيلا إستطلاعات مهمة من طرف Vel خلال سنوات 1904 و 1905 وأخرى عامّة من طرف كل من الملازم Menetrier سنة 1910 و Vicrey سنة 1943. ونقبت تلالها الجنائزية وبازيناتها و سراديبها سنة 1914 من طرف الألماني Frobenius الذي عثر على مرفقات هامّة حُجزت منه خلال إندلاع الحرب العالمية الأولى في إحدى فنادق الجزائر العاصمة أين نجهل مصيرها حاليا. أما الحفريات الثانية فقد أُجريت خلال سنوات 1933-1934 من طرف Logeart على السراديب.

2. التلال الجنائزية والبازينات:

وهي أكثر الأنواع انتشارا على كل الربوات الموضحة على صورة القمر الصناعي. يغطي على حلقتها الخارجية الشكل الدائري، ويبقى المخطط المربع نادرا وينتشر في أعالي عين الغيران. مواد بنائها استغلّت من عين المكان لوفرة سطح المنطقة على كتل جيرية صلبة، تتفلق الصخور منه أحيانا بكيفية طبيعية أو تقلع بطريقة مقصودة عن طريق استحداث مخارز أو قنوات.³ (الصورتين 2 و3)

يتراوح محيط الحلقات الحجرية ما بين 3م و9م، تتوسطها غرف جنائزية مستطيلة الشكل، يغلب على بناءها نمط الجدران بحجارة متراسة، كانت تغطي ببلاطة حجرية. (الصورتين 4 و5)



الصورة 2: انفلاق الصخور طبيعيا (تصوير الباحث) الصورة 2: قلع الصخور بواسطة القنوات والمخارز



الصورة 4: تل جنائزي ذو حلقة دائرية. (تصوير الباحث)

³ زرارقة مراد 2012، طرق ووسائل قلع وتشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية. مجلة الآثار، جامعة الجزائر. عدد خاص. ص. 93-106.



الصورة 5: بازينا ذات حلقة دائرية. (تصوير الباحث)

وهناك عينة لبازينة ملفتة للانتباه أجريت عليها تنقيبات من طرف فروبنوس Frobenius سنة 1914. هذا الباحث المعروف بحفرياته المعمقة في المعالم الجنائزية، والتي كان من خلالها يقوم بالتنقيب على كل شبر منها، دون إعادة بناء واسترجاع العناصر المعمارية المنزوعة خلال الحفريات، فقد جبت طوال مقبرة سيلا دون العثور على بقايا هذا النمط الذي نكتفي بوصفه حسب رسوم Frobenius وحسب وصف أعدّه ج. كامبس الذي لم يقف على هذا المعلم الذي أطلق عليه إسم "المعلم ذو المشكاة والذراعين" أين اكتفى بتصفح نشرية الباحث الألماني بشكل بعيد كل البعد عن الموضوعية لا لشيء إلا لمحاولة تمرير فكرة الأصول الأوروبية لهذا النمط.

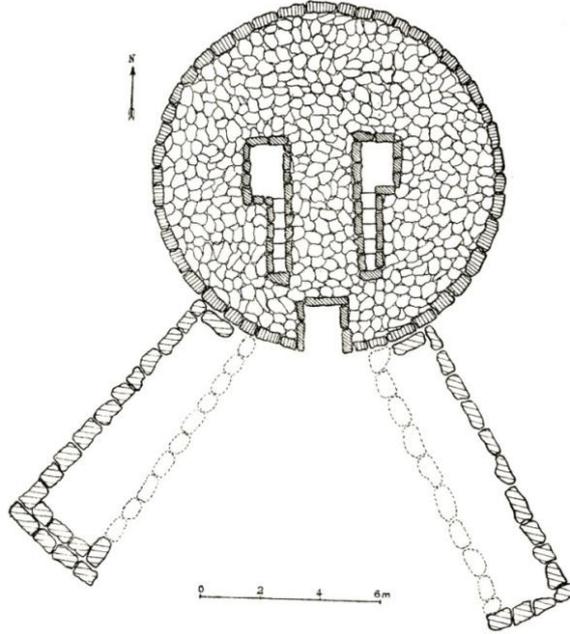
فيرى كامبس بأنه لا يوجد سوى مثالين للمعالم ذات الأذرع في شمال إفريقيا، إحداهما تل جنائزي عثر عليه في التاوز بتافيلالت بالمغرب الأقصى والآخر (الذي نكتفي بدراسته) عبارة عن بازينة مزدوجة الغرف الجنائزية وذات الحلقة الأسطوانية وجدت بسيلا. خصائص هذا المعلم تكمن في وجود ذراعين أو قرنين ينطلقان من الجهة الجنوبية للحلقة الدائرية بشكل منفرج نحو الخارج ومكوّنتان زاوية حادة مع حلقة البازينة. كان طول هذين الذراعين يقدر بـ 10م، أين كانت مبنية عن طريق أربعة صفوف من الحجارة المربعة ذات الحجم الكبير والعلو المقدر بـ 2 م أما عرضها يفوق المترين بقليل⁴. (الشكل 1).

يحيط بالغرفتين الجنائزيتين حلقة دائرية أسطوانية، فضاءها الداخلي يظهر في الرسم وكأنه مبلط بحجارة تغطي كامل أرجائه. بداخل هذا الفضاء كانت توجد غرفتين جنائزيتين معدومتى المائدة، متمركزتان في وسط الحلقة الدائرية وتبتعدان عن بعضيهما البعض بحوالي 2 م، كانا يدخل إليهما عن طريق ستة درجات. أما توجيههما فهو غير مألوف في المنطقة، حيث نجدهما موجّهتان من الشمال إلى الجنوب .

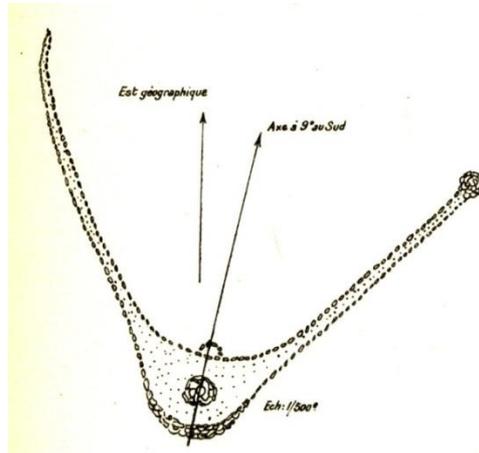
ويضيف بأنه كان يوجد بهذا المعلم كوة متمركزة في الناحية الجنوبية للحلقة الأسطوانية فهي بذلك تتوسط محوري الغرفتين الجنائزيتين. فبحكم موقعها في هذا المكان، فإن الحلقة الدائرية لم يكتمل دورانها كليا، فهي تتقطع في الجهة الجنوبية لتفسح المجال لبناء جدران ومؤخرة هذه الكوة أو المشكاة ذات الشكل الذي يقارب المخطط المستطيل، فمن الأكيد بأن دورها كان عقائديا. فهذا النوع من الأماكن والمشكّل بهذه الطريقة، نجده في العديد من المزارات الحالية التي تكون في غالبية الأحيان ذات مخططات مقوسة أو مربعة، توضع بها مختلف الأواني الفخارية النذرية.

⁴ Camps G. 1961, Aux origines de la Berbérie, monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord. A.M.G., paris. P.179.

البازينا ذات الذراعين على شكل حرف V، مصدرها إفريقي رغم محاولة كامبس التلميح بوجود معالم جنائزية مشابهة لها في كل من جزيرتي سردينيا وبريطانيا وحتى بفرنسا. إلا أنّها ومن الأکید متأثرة بشكل كبير بالمعالم الجنائزية لمطقتي الطاسيلي والهقّار حيث ذكرت لأول مرة من طرف Rabourdin⁵ الذي عثر على عيّنات عديدة لتلال جنائزية ذات الأذرع على شكل حرف V (الشكل 2)



الشكل 1: مخطط للبازيينا ذات المشكاة والذراعين⁶.



الشكل 2: تل جنائزي ذو ذراعين لمنطقة أمقيد - الهقّار⁷

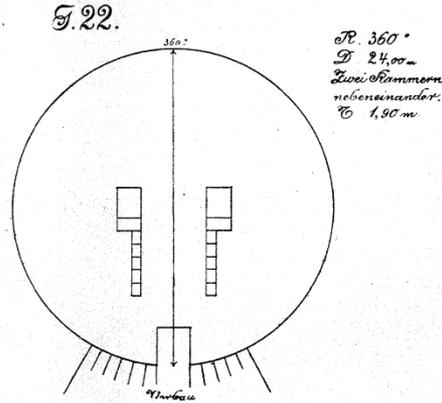
فإذا ما تتبّعنا وصف كامبس للمعلم الذي أطلق عليه إسم المصطبة ذات المشكاة والذراعين فنرى بأنّه مطابقاً للمخطط من حيث هيئته العامّة وتصميمه المعماري، لكن لنتساءل من هنا عن مصداقية هذا المخطط، هل قدّمه فروينيوس بالكيفيّة التي نجدها فيما بعد عند كامبس في أطروحته سنة 1961؟

⁵ Rabourdin L¹, 1884, Les âges de pierre du Sahara central. Paris. p 135.

⁶ Camps G., 1961, Op. Cit. Fig.66. p.178.

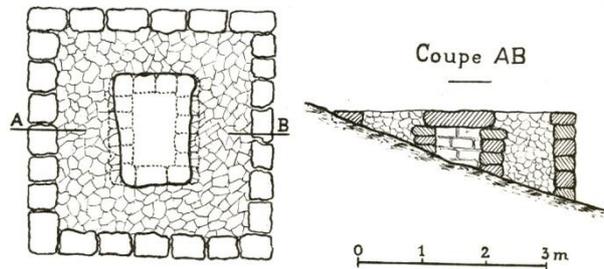
⁷ Reygasse M., 1950, Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord. Fig. 66. p.57.

فمخطط فروبنيوس لا يحتوي على ملحقات خارج الحلقة، فلنسا ندري كيف تحوّلت الإشعاعات الموضحة في الرسم على جانبي المشكاة إلى ذراعين في مخطط كامبس (الشكل 4).
طريقة الفرقة المرافقة لفروبنيوس في الرسم كانت تدرج العديد من المعطيات التقنية في الحسابات الخاصة بالمحيط والقطر والشعاع، وهي مبيّنة في مختلف المخططات والتي نوضّح نوع آخر منها والمتمثل في بازيئة ذات غرفة جنازئية لا مركزية Excentrique وذات السلم، بها نفس الإشعاعات الهندسية الموضحة في الرسم السابق (الشكل 3). فكيف يكون مخططها عند كامبس لو اطلع عليها⁸.



الشكل 3: مخطط للمعلم حسب فروبنيوس⁹

أما بالنسبة لبازينا أخرى ذات قاعدة مربعة بنيت على منحدر، قام كامبس بوصفها بناءً على مخطط ومقطع فروبنيوس وأعاد رسم نفس المعلم دون احترام الأمانة العلمية من حيث عدد وكيفية ترتيب الصخور لكل من الغرفة الجنازئية التي أضاف لها صخرة لإحدى الأضلاع الطويلة وأنقص أخرى من إحدى الأضلاع الصغيرة، كما أضاف مائدة جنازئية ذات شكل مستطيل تقريباً (الشكل 4) وهي منعدمة في مخطط فروبنيوس ومغايرة الوضعية والمقاييس في المقطع. بالإضافة إلى تزوير آخر مفضوح يتمثل في رسمه لـ 26 صخرة للسياج المربع بدل من 23 صخرة. أما أبعاد المعلم الجنازئي الكلي الذي حدده كامبس بحوالي 4 م، وهي أبعاد تقلّ تقريباً بالنصف عن المخطط الأصلي والذي يبيّن بأنّ هذا القبر المربع كانت مقاساته تقدر بحوالي 7 م. (الشكل 5)

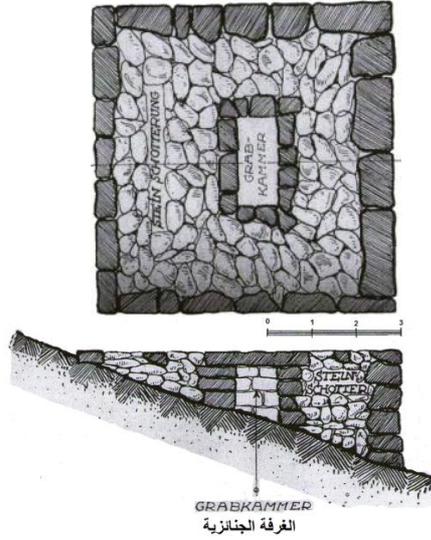


الشكل 4: مخطط ومقطع للمعلم، حسب كامبس¹⁰.

⁸ زرارقة مراد 2017: الأضرحة النوميديّة ضمن المدافن الميغاليتية. ليبيا، عدد 2، سلسلة جديدة، ص. 23-24، 2017.

⁹ Frobenius L., 1916, Der Klein afrikanische Grabbau. Praehistorische Zeitschrift, Leipzig. Pl. I., Fig 22. P.60.

¹⁰ Camps G., Op. Cit., P.134. fig. 34.



الشكل 5: المخطّط والمقطع الأصلي لنفس المعلم، حسب فروبنيوس¹¹

3. السراييب:

يرى قزال Gsell بأنه في الفترة البونية كانت القبور تحفر على الجرف من طرف السكان المحليين¹². أما كامبس Camps فيعتقد غير ذلك بمحاولة انتساب هذا النوع من القبور إلى تأثيرات حلت بشمال إفريقيا عبر البحر الأبيض المتوسط من جهته الشرقية أو الوسطى¹³.

أما الدكتور ديروول Deyrolle فيرى بأن هذا النوع من القبور لديه تشبيه كبير مع المقابر البونية، فلها نفس الأصول مع تلك الموجودة في بلاد الفينيقيين، والتي عثر عليها في مصر أيضا¹⁴.

وعن انتشارها بالشرق الجزائري، فيقتصر هذا النوع من المعالم الجنائزية على مقبرة سيلا فقط، بكيفية غير منعزلة عن باقي الأنواع والأنماط الأخرى، بل تتوسط وتحيط بمجموعة من التلال الجنائزية والبازيئات. شكلها العام لا يشبه الحوانيت تماما، وهذا يرجع إلى طبوغرافية السطح المتواجدة عليه، فلم نجد جرفا أو منحدرات هامة متماشية مع الخصائص الضرورية لإنجاز الحوانيت .

ففي سيلا نجد أنّ منحدرات الربوة الواقع عليها هذا النوع من المعالم الجنائزية، تعتبر من المنحدرات المتوسطة والبسيطة، فهي بالتالي لا تسمح بحفر مدافن الحوانيت عليها. رغم ذلك نجد مجموعة معتبرة من السراييب المهيأة داخل الجلود الجيري بأنواعه وسط أكثر من مئة تل جنائزي وبارزينا، وبقايا المئات أخرى إندثرت. فإن إصرار الفئة التي كانت تفضّل استعمال السراييب قد تكون لها أسباب ودوافع اجتماعية أو إثنية أو عقائدية تختلف عن صاحبة مدافن التلال الجنائزية والبازيئات. فإذا ما تمعننا جيدا مع العمارة الجنائزية لهذه الدواميس نجد طريقة بناء غرفها الجنائزية، لا تختلف عن تلك القبور البونية المتواجدة حاليا في منطقة عين النشمة بقالمة والمؤرخة ما بين القرن الثالث والأول قبل الميلاد .

¹¹ Frobinus L, Op. Cit. PL.21, P.45.

¹² Gsell S. 1901, Monuments antiques de l'Algérie, T.1, p.40.

¹³ Camps G., Op. Cit., P.109.

¹⁴ Deyrolle M. 1909, Les haouanets de Tunisie. B.S.A.P., T.X., p.157.

لقد أشار Vel إلى وظيفة هذه السرايب، فيصفها أحيانا بملاجئ أو مساكن لأهل المغاور ثم بمحاجر لقلع الجير من أجل بناء المدينة الرومانية، وأخيرا كقبور للعبيد. هذا ما جعل Logeart يقيم تنقيبات عليها خلال سنتي 1934-1935 على مجموعة منها، منحصرة على المنحدرات الشمالية الشرقية للربوة وعلى الجهة العلوية منها، والموجهة من الشمال إلى الجنوب، أين تيقن بأن وظيفة هذه السرايب كان جنائزية بما قدّمته من بقايا عظمية بشرية مصحوبة بعدد من الأثاث الجنائزي الفخّاري والمعدني.

إنّ الطبيعة الجيولوجية للمكان سمحت وسهّلت بإنشاء هذا النوع من القبور، حيث نجد أنّ أرضية الربوة الجنائزية، متكوّنة من تعاقب طبقات جلمودية جيرية صلبة بطبقات ترابية غنية بالحصى الصغيرة متماسكة فيما بينها لكنّها تنقّت وتزرع بسهولة عند عمليّة الحفر بوسائل وعتاد معدني (الصورة 6)



الصورة 6: تعاقب كتلة جيرية صلبة بطبقة حصوية سهلة الحفر - سيللا - (تصوير الباحث)

وهذا ما أدى بالقدامى بنبش وتفرغ الطبقات السهلة وتعديل بعض الأجزاء من الجلمود الجيري لتشكيل الغرف الجنائزية المتتابعة، في خط يعد بمثابة جبهة منحدرّة، يتم الدخول من خلالها إلى الدواميس المهيّنة والمنجزة عن طريق إضافة بعض الجدران المبنية بواسطة حجارة معدلة ومتراصة بطريقة متوسطة في الإتقان والتي تعدّ بمثابة جدران فاصلة بين غرفتين، وكدعائم للسقف الطبيعي. ويحتفظ بباقي الجدران الخلفية والجانبية على طبيعتها الجلمودية (أنظر الصورة 7)



الصورة 7: بناء الغرف الجنائزية داخل السرايب عن طريق إضافة جدران حجرية.

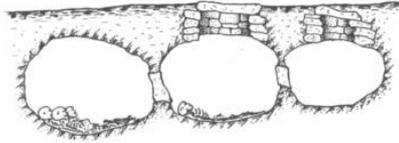
(عن Logeart)¹⁵

ارتبطت هذه التهيئات والتعديلات على مستوى مداخل وسدّادات هذه المغارات التي وجدت بها سلالم أو مدرّجات وممرّات تؤدّي إلى الغرف الجنائزية، التي كانت تغلق بواسطة صخور كبيرة الحجم مدعّمة بكميَّات من التربة والحجارة لتغطيتها كليا.

¹⁵ Logeart F. 1935-1936, Grottes funéraires, hypogées et caveaux sous roches de Sila. p.96.

ويروى Vel¹⁶ أيضا بأن الرجال كانوا يضعون سدادات حجرية على فوهات هذه السرايب من الأعلى لوقاية النساء والأطفال من الحيوانات المفترسة. وهذا أمر جدّ مستبعد ولا يمكن بأيّ حال من الأحوال تصديقه أو يأخذ به نظرا لضيق هذه السرايب من حيث المساحة واستحالة التنفّس بداخلها وهي مغلقة.

فعبارة وضع السدادات الحجرية من أعلى السرايب تبين بأنّ هناك نوعا آخر من القبور في هذه المنطقة، والتي قد تكون مشابهة للمقابر داخل المطامر (الشكل 6) أين يصعب في الوقت الراهن التأكّد بوجودها ميدانيا في غياب إجراء عمليّات التحري بأجهزة كهرو-مغناطيسية على سطح أرض المنطقة ذات السرايب.



الشكل 6: مقطع لمطمورة جنائزية بمنطقة سيدي حمادوش (عن Desjardins)¹⁷

ويضيف Vel بأنّه، أحيانا نجد فوهات هذه الملاجئ محاطة بسيجات حجرية مربّعة، فهذه العناصر الأخيرة مازالت منتشرة حاليا في سيلا ولا تحتوي بداخلها على أي قبر بارز، فهل هي تدل على مكان تواجد قبور على شكل مطامر من تحتها؟ هذا التساؤل المهم نجد إجابته في تنقيبات علمية ودقيقة، التي قد تفتح لنا لغز هذه السياجات الخالية تماما من كل عمارة ما بداخلها حاليا. (الصورة 8)



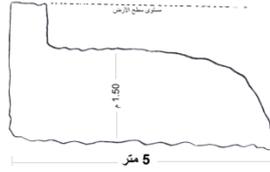
الصورة 8: إحدى السياجات الحجرية المربّعة تظهر في أعلى اليسار لمدخل السرايبين. (تصوير الباحث)

هناك العديد من المغارات تحت الأرض، البعض منها يحتوي على فتحة محفورة عموديا في الأرض تشبه فتحات المطامر العادية، وعلى عمق 1 م من السطح يتوسّع هذا الثقب في الاتجاه الشمالي والجنوبي ليكون مغارة. (الشكل 7). المقاسات العامّة لهذه المغارات تتراوح من 5 إلى 6 م. طولا و من 2 إلى 3 م. عرضا و 1.5 م. ارتفاعا، العديد منها مغمور بالتربة كليا أو إلى غاية نصفها، فلا يمكن ملاحظتها بحكم مدخلها متجانس مع سطح الأرض، أمّا الأخرى فتعرف وتلاحظ بسهولة إذ تعلوها حلقات حجرية كالتي نجدها في التلال الجنائزية. أمّا البعض الآخر فتعلوها بازينات. هذه العلامات والأدلة تثبت وظيفتها الجنائزية¹⁸.

¹⁶ Vel A., Op. Cit., p.180.

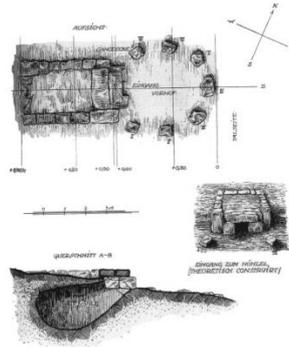
¹⁷ Desjardins V. 1935, Découverte d'une sépulture ancienne aux Trembles. B.S.G.A.O., T.LVI. p.87.

¹⁸ Vel A. 1904, Inscriptions Libyques inédites, relevées sur le territoire de la commune mixte d'Ain M'lila. RSAC., T. 38, P..23.



الشكل 7: مدفن ذو مدخل عمودي بسيلا¹⁹.

أما بالنسبة للسياجات الحجرية المربعة والعديدة في هذا المكان، فقد عثر Logeart بداخل إحداها على سرداب لم يصفه لنا، ويكتفي بذكر مدخله في وسط السياج المربع، فمن الأكيد أن يكون عبارة عن قبر بشكل مطمورة ذات المدخل العمودي. على غرار ثلاثة معالم عثر عليهم فروبينيوس في المنحدرات الشمالية الغربية لربوة سيلا ما بين عدد من التلال الجنائزية والبازينيات، قام برسم إحداها والذي يبيّن فعلاً بأنّ هناك قبور على شكل مطامر محفورة في الأرض ومهيّئة على السطح بعمارة جنائزية على شكل بنايات مستطيلة ودائرية، بها فتحة على المستوى الفاصل بين الدائرة الحجرية والتهيئة المستطيلة، مغطّاة ببلاطتين كبيرتين، تؤدّي مباشرة إلى حفرة ذات قاع بيضوي مقعر وسقف مستقيم مائل نحو العمق، طولها يفوق 3 م. وارتفاعها يقارب 2 م. (الشكل 8)

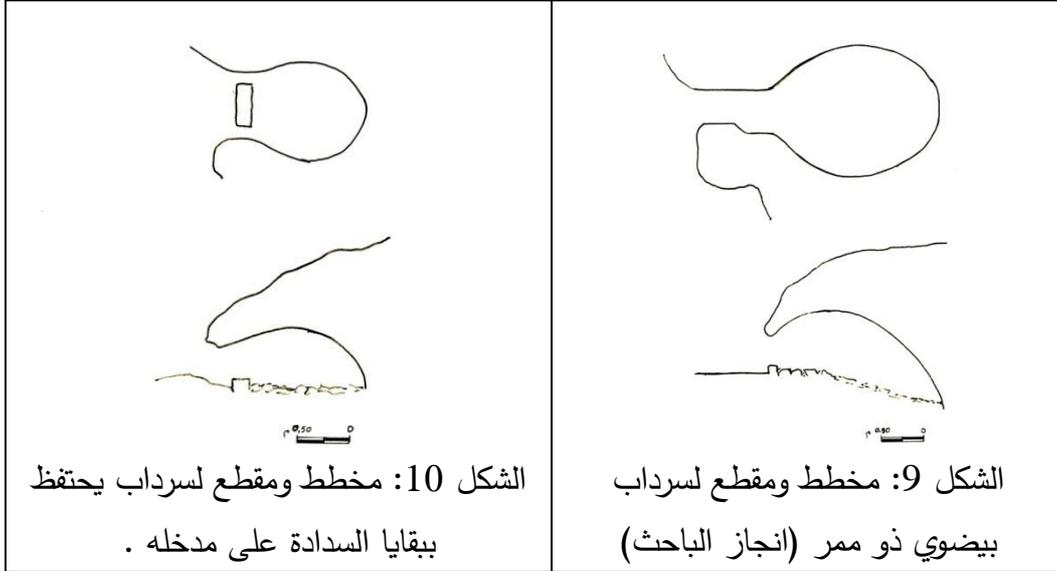


الشكل 8: غرفة جنائزية على شكل مطمورة، مهيّئة في السطح²⁰.

إن كل السرايب الظاهرة والموجودة حالياً في مقبرة سيلا، تظهر عليها عمليات التنقيب، فبعد إجراء هذه الأخيرة من طرف كل من لوجار وفروبينيوس، تركت على حالها مفتوحة للخارج، فمع مرور الزمن وبفعل العوامل الطبيعية إمتلأت هذه السرايب بكتل من الحجارة والتربة إلى غاية نصف عمقها على ما نعتقد، فما يظهر منها حالياً هو شكلها البيضوي أو الدائري أين تظهر أحيانا حزات الحفر بواسطة النقّار على الجلود الصخري والتي تبين مدى تهيئتها وتعديلها (الشكلين 9 و10)

¹⁹ Vel A., Op. Cit. P.32.

²⁰ Frobenius L., Op. Cit., PL. 18. P. 39.



4. طرق ووضعيّات الدفن:

بناءً على تقارير تنقيبات كل من فروبينوس ولوجار، غلب طقس دفن الجثث في مختلف الوضعيات المنطوية ومنها وضعية القرصاء أين يكون الانطواء كاملاً وعنيفاً، لدرجة أنه يحدث أحياناً ابتعاد المفاصل فيما بينها، فتطلب هذه الطريقة ربط أو رزم الجثة حيث يتقلص حجمها لتتحصّل على مساحة صغيرة داخل القبر سواء داخل التلال الجنائزية أو البازينات أو السراييب. فكانت تجلب الركبتين إلى الوجه وفي بعض الأحيان يلتمس فيه الساق مع ذقن الميت، وتلتمس الأعقاب مع عظم الحوض، وتكون الأطراف العليا منطوية حيث توضع الأيدي عموماً قرب الجمجمة. أمّا في السراييب فإنه عثر على ثلاثة هياكل مندسّة في مساحة ضيقة، ومحتنظة بعلو يتراوح ما بين 20 إلى 30 سم. ممّا يدل بأنهم دفنوا بهذه الطريقة لكن في وضعية الجلوس، فعند انحلال الجثة، انهارت مختلف عظام الموتى على بعضها²¹.

كما عُرِفَت طريقة تجريد الجثث من لحمها وإعادة دفن عظام الموتى داخل أواني فخارية. حيث عثر Logeart على اثنان وستون (62). أنية فخارية داخل سراييب سيلا، كل واحدة منها موضوعة قرب جمجمة، كانت تحتوي بداخلها على بقايا عظمية صغيرة ومنكسرة. فقد تنتمي هذه العظام لنفس الأشخاص الموضوعّة جماجمهم على طول جدار السراييب. محتوى هذه الأواني كانت تحتوي على:

- بقايا عظام الجماجم المهشّمة، داخل 10 أواني.
- فكوك سفلية، داخل 3 أواني.
- أسنان، داخل 24 أنية.
- فقرات، داخل 11 أنية.
- عظام الترقوة، داخل أنيتين.

²¹ Logeart F., Op. Cit. p.76.

- ألواح الكتف، داخل أنيتين.
- الأضلاع، داخل 10 أواني.
- الأطراف العلوية، داخل 10 أواني.
- عظام الرسغ، داخل 3 أواني.
- عظام السلاميات، داخل 9 أواني.
- عظام الحوض، داخل 11 أنية.
- عظام الأطراف السفلى، داخل 6 أواني.
- عظام المشط، داخل 11 أنية.

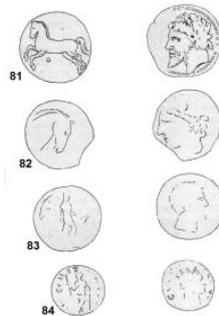
هذا ما قد يدعم فكرة إعادة جلب الرفات من أماكن بعيدة وإعادة دفنها في الموطن الأصلي للأشخاص المتوفون.

5. تأريخ المدافن بالمرفقات الجنائزية:

نستهل في هذه الفقرة سوى المرفقات الجنائزية التي يمكن تشغيلها في تأريخ مدافن سيلا، والمستخرجة من حفرتي كل من فروبينوس ولوجار.

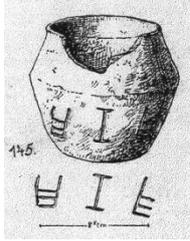
فعر العالم الألماني Frobenius سنة 1914 على 50 أنية وعدد معتبر من القطع النقدية داخل التلال الجنائزية وبازينات سيلا نلخصها فيما يلي:

- أحد عشرة قطعة نقدية نوميديية (صُيِّعت) وهي من الرصاص أو مغلفة بطبقة رقيقة من النحاس، قد تكون للملك مسيبسا وماسنيسا، تحمل واحدة منها على أحد أوجهها، رأس الملك بلحية، أما في الوجه الآخر به حصان في وضعية الركوض وحرفين بونيين، وهما: م-ن. تؤرخ هذه القطع ما بين 148-118 ق.م فهي مشابهة لبعض قطع الملك مسيبسا (الشكل 11 رقم 81). بالإضافة إلى قطعة قرطاجية لتانيت (الشكل 11 رقم 82) وقطعتين رومانيتين إحداهما للإمبراطور غالينوس 253-268م (الشكل 11 رقم 83 و84)

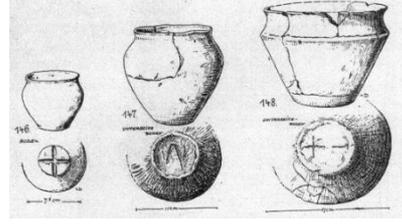


الشكل 11: قطع نقدية نوميديية، قرطاجية ورومانية²²

كما عثر على أواني فخارية مقولبة بها حزّات على مستوى القاعدة والجوانب مكتوبة بأحرف ليبية (الشكل 12). وأنية ذات الكتف بها حزّات على الجانب تمثل ثلاثة أحرف بونية (الشكل 13).

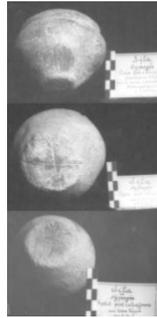


الشكل 13: كتابة بونية على أنية فخارية عثر عليها
بسيلا



الشكل 12 : حروف ليبية محزوزة على قواعد أواني
مجموعة فروبينوس²³.

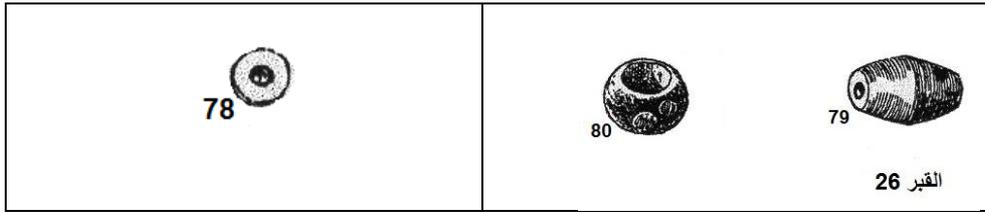
أما الحفريات الثانية فقد أجريت خلال سنوات 1933-1934 من طرف Logeart على السراييب. أين أستخرجت منها 136 أنية فخارية ثلاثة منها تحمل أحرف ليبية (الصورة 9) و 19 تحفة معدنية من بينها 7 قطع نقدية نوميديّة.



الصورة 9: حروف ليبية محزوزة على جانب وقواعد أواني مجموعة لوجار.
(تصوير الباحث 1989)

لم يقتصر الأثاث الجنائزي على الفخاريّات والأدوات المعدنية التي أشرنا لها أعلاه، بل تعدّدت إلى مواد أخرى منها الطبيعية والمصنّعة، مقاسات بعضها تقدر بالمليمترات قد عثر عليها عن طريق الحظ والصدفة نظرا لعدم استعمال الغربال من طرف الباحثين.

ومن أهم ما عثر عليه يكمن في بعض من دبابيس شدّ الشعر ولعب النرد. واللالئ الصغيرة المنقوبة وهي من الحجر أو الزجاج أو بيض النعام والتي قد استخدمت في صناعة العقود أو المسابح كتلك التي عثر عليها فروبينوس بسيلا (الشكل 14)

الشكل 14: حليّ حجرية وزجاجية بسيلا²⁴.

كما عثر على مصاقل بحرية من نوع سيبرايا كوريس وهي عبارة عن أصداف صغيرة مثقوبة أو تتقب عن طريق كسطها، تعرف باللاتينية باسم *Cypraea cauris* تعيش في المحيط الهادي والهندي، فالمكان الأقرب من وسطها الطبيعي إلى شمال إفريقيا هي مناطق القرن الإفريقي وشبه الجزيرة العربية، ويتعيّن بأنّ تجميعها كان أكثر نشاطا حول جزر لاكوديف Laquedive والمالديف Maldive، ويبقى المستودع الكبير للمصاقل هو بحر الهند وسواحل شبه جزيرة الهند التي قد تعدّ بؤرة ولادة المعتقدات ذات الصلة بهذا النوع من الأصداف والذي تفرّع وانتشر إلى مختلف أنحاء العالم. وحاليا بالهند، فإنّ المصاقل المعلّقة في رقاب الأطفال فهي بمثابة مضادّات للحسد والعين والتأثيرات الشيطانية. وهي مفترضة بأن تكون متعاطفة مع من يحملها، فحين وقوع عين شريرة على حاملها فتتشقّ وتتكرس، ونفس الأمر لأساور المصاقل التي تحملها النساء في ذراعهن ببلاد البنغال، فلها حسب اعتقادهم نفس الفضيلة والفعالية. توسّعت هذه العادة إلى تجهيز وتزيين السروج لهدف حماية الركوب من التأثيرات الخبيثة، وانتقلت هذه العادة من الهند إلى بلاد فارس ومنها إلى كامل الشرق الأوسط والبلدان المتوسطية.

وكان العرب في الجاهلية يستعملون المصاقل وهم على قناعة بأن العاشق الذي يقوم بكشط إحداها وابتلع محتواها فيلهم ويتحلّى بالصبر فكانت تدعى هذه الصدف الصغيرة عندهم بالسُلوان بمعنى أنّها كائنات قادرة أن ترفع الأحزان وتهديء من هوى العاشق²⁵. تستعمل أيضا كتمائم واقية من العين وطلاسم تبعد الأشرار وسوء الحظ كما توضع وتعلق في ملابس النساء مناشدة الحماية والخصوبة.

فهذا النوع الطبيعي من المرفقات الذي نجده أيضا في مقبرتي جبل مزيلة في بونوارة والركنية بقالمة، يمكن تفسيره بوجود ديناميكية بين الشعوب القديمة ي إطار الهجرات أو التبادلات التجارية الفينيقية أو من القرن الإفريقي نحو شمال إفريقيا خلال الفترات التاريخية.

6. خاتمة:

ارتأينا في هذا الموضوع إبراز تعميم بشري فوق حيّز جغرافي يوفّر أهم عوامل الاستقرار والحماية لمجتمع كان يعيش على شكل قبائل في محيط العاصمة النوميديّة قرطن، بعبادات وطقوس جنائزية وعقائدية متشابهة فيما بينها من حيث العمارة وسلوكيات الدفن، واستراتيجيات اختيار البيئة المناسبة في استغلال سطحها للحصول على مواد البناء بعتاد ووسائل معدنية تاريخية، وكذا اغتنام وجود مرتفعات محصّنة طبيعيا تضاف إليها أسوار منيعة في تشييد بلدات تأوي السكّان أصحاب المدافن الميغاليتية وشبه الميغاليتية. وهذا ما وجدناه قائما على موقع سيلا حيث وجود بلدة نوميديّة

²⁴ Frobenius L., Op. Cit., Fig. 79-80. P.69.

²⁵ Gobert E.G. 1951, Le pedendum magique et le problème des Cauris. Rev. Afr. T. XCV. P. 8.

أعيد استعمالها بعد سقوطها وتدمير أجزاء هامة من أسوارها من طرف الرومان. كانت هذه البلدة محاطة من كل الجهات تقريبا بمقابر جلمودية من تلال جنائزية وبازينات كما أملت طبوغرافية ونوعية التكوين لسطح أرضها بناء نوع أو نمط استثنائي من المعالم الجنائزية يعرف بالسرادييب. جل المرفقات الجنائزية المستخرجة خلال التنقيبات الأثرية من أواني فخارية وعملة نقدية وغيرها، لا يفوق تأريخها على أقدم تقدير القرن الرابع قبل الميلاد. كما نستخلص أيضا، من خلال ملاحظتنا وتحليلاتنا على مواد البناء والأماكن المستخرجة منها الوسائل، استعملت فيها وسائل وأدوات معدنية متنوّعة وذلك في قلع وتشذيب الكتل الصخرية بكيفية متقنة ومطابقة تماما مع تلك المنتهجة في الفترة القديمة عامّة والرومانية خاصّة، وهذا ما يضيف دلائل إضافية على أن مدافن سيلا الميغاليثية وشبه الميغاليثية تعود إلى فترات تاريخية ولا تمدّ بصلة بالحقبة المعروفة بفجر التاريخ.

7. قائمة المراجع:

زرارقة مراد 2012، طرق ووسائل قلع وتشذيب الصخور المستعملة في بناء المعالم الجنائزية الميغاليثية وشبه الميغاليثية. مجلة الآثار، جامعة الجزائر. عدد خاص، .
زرارقة مراد 2017، الأضرحة النوميديّة ضمن المدافن الميغاليثية. لبيكا، عدد 2، سلسلة جديدة.

Camps G. 1961, Aux origines de la Berbèrie, monuments et rites funéraires protohistoriques de l'Afrique du nord. A.M.G., paris.

Desjardins V. 1935, Découverte d'une sépulture ancienne aux Trembles. B.S.G.A.O., T.LVI.

Deyrolle M. 1909, Les haouanets de Tunisie. B.S.A.P., T.X.

Frobenius L. 1916, Der Klein afrikanische Grabbau. Præhistorische Zeitschrift, Leipzig.

Gobert E.G. 1951, Le pedendum magique et le problème des Cauris. Rev. Afr. T. XCV.

Gsell S. 1901, Monuments antiques de l'Algérie, T.1.

Logeart F. 1935-1936, Grottes funéraires, hypogées et caveaux sous roches de Sila. R.S.A.C., T. 63,.

Rabourdin Lt. 1884, Les âges de pierre du Sahara central. Paris.

Reygasse M. 1950, Monuments funéraires préislamiques de l'Afrique du nord. A.M.G., Paris,.

Toulotte J.A. 1894, Géographie de l'Afrique chrétienne –Numidie-. Paris.

Vel A. 1906, Excursion archéologique sur le territoire de la commune mixte d'Ain-M'lila. RSAC,T. 40.

Vel A. 1904, Inscriptions Libyques inédites, relevées sur le territoire de la commune mixte d'Ain M'lila. RSAC., T. 38.